كورونا: ألم يَأْنِ الوقت بعد؟!

أسماء محمد أمين سيد

ماجستير في البنوك الإسلامية

ألم يَأْنِ الوقت بعد للتخلص من الرأسمالية؟! تلك الآفة السامة التي تسلطت على مجتمعاتنا ولوثتها؛ ففي ظل الوضع الراهن وما يتكبده العالم من خسائر بشرية ومادية وما تُهدر من طاقات معنوية نتيجة لازمة فيروس كورونا؛ تأتي الرأسمالية لتُطل بوجهها القبيح مستغلة الأزمات؛ فتُزيد الوضع سوءاً وترهق نفوس البشر وتسرق أموالهم تحت غطاء العرض والطلب.

إن الطمع والجشع الذي طغى على عقول الرأسماليين جعلهم يتفننون في الاستفادة من الأزمات مستغلين خوف وذعر الناس؛ كي يحققوا أرباحًا خيالية ويزيدوا ثرواتهم، ومن ثم يُزيدون الأعباء على المجتمع فتزداد حدة الأزمات.

وعلى الجانب الآخر نرى سلوك الأفراد يشجعهم على ذلك؛ فالتهافت على شراء السلع بكميات زائدة عن الحاجة وتخزينها يُزيد من الطلب عليها؛ ومن ثم تتضاعف أثمانها وهو ما يسهم في ظهور أزمات جديدة تضر أكثر بالاقتصاد وتُزيد من المحنة، كما أن طبيعة تلك السلع يمكن أن تشكل خطورة إذا كانت سلعًا ضرورية لمواجهة هذا الوباء المنتشر، ولا يستطيع الفقراء وأصحاب الدخل المحدود اقتناءها؛ مما يجعلهم ضحية وأكثر عرضة لهذا الوباء فتصبح الكارثة إنسانية.

ففي الوقت الذي يجب أن يتكاتف فيه جميع أفراد المجتمع لينجو من البلاء بأقل الخسائر يقوم أصحاب السلع باحتكارها ليزداد ثراؤهم، والأفراد يتهافتون لتأمين احتياجتهم المستقبلية غير مبالين بما قد ينتج عن ذلك من أضرار تزيد من حدة الأزمات، ولا شك أن هذه هي مبادئ الرأسمالية التي تتغنى بتحقيق المصلحة الفردية دون النظر لأثر ذلك على المجتمع؛ فلا نتجنى عليها أو نتهمها زوراً بأنها أفسدت المجتمعات.

وفي ظل الأوضاع التي نعيشها نجد مثالاً حيًا على ما نعايشه من واقع أليم؛ فالسلع المستخدمة للوقاية من الوباء والحد من انتشاره كالكمامات الطبية في مصر تضاعفت أثمانها ليس ١٠٪ أو ٢٠٪ أو حتى ٣٠٪ بل ٢٠٠٠٪؛ فالعبوة ذات الجودة المنخفضة تحتوي على ٢٠ كمامة كان ثمنها لا يتجاوز ١٢ جنيهًا بينما أصبح ثمنها في ظل انتشار المرض ٢٥٠ جنيهًا أما عبوة الكمامات ذات الجودة المرتفعة لم يكن يتجاوز ثمنها ٢٠٠ جنيهًا؛ أصبح

ثمنها الآن ١٢٠٠ جنيهًا أي بزيادة قدرها ٥٠٠٪، وفي إيطاليا وصل سعر القناع الواحد إلى ٥٠٠٠ يورو، كما ارتفع سعر كحول الإيثلي من ٧.٥ إلى ٧٥ جنيهًا، وفى بعض الأماكن بلغ ١٠٠ جنيه، ناهيك عن زيادة أسعار الخضروات واللحوم وغيرها، وكلها سلع ضرورية لا غنى عنها.

هذه الأمثلة البسيطة تُظهر كيف أن الفردية تضاعف من تأثير الأزمات بل وتنذر بفناء المجتمع في ظل وباء مثل كورونا؛ فالفرد هو جزء من المجتمع، ومن مصلحته بقاء المجتمع فلو هلك المجتمع لهلك معه الجميع.

فلنطرح مبادئ الرأسمالية أرضًا، ولنعد إلى نهج شريعتنا وسنة نبينا المطهرة، فيا صاحب رأس المال إياك والاحتكار؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح "لا يحتكر إلا خاطئ" أي آثم، بل اعمل على توفير السلع بأقل الأثمان حتى يتسنى للفقير الحصول عليها، واحرص على أن تنفق زكاة أموالك في مجابهة هذا الوباء بشراء الكمامات ومستلزمات الوقاية وتوزيعها على الناس.

ويا أخي المستهلك؛ عن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"؛ فعند الشراء فكّر في أخيك الذي قد يأتي بعدك لشراء السلعة ولا يجدها، فكّر في أن كثرة اقتنائك من السلعة سيرفع ثمنها، وعندما يأتي الفقير لا يستطيع شراءها.

وفي الأخير يا من أُصبت بالمرض أعلم ان لكل أجل كتاب؛ فالزم دارك وحاول أن تجنب إخوتك المرض، إن الوحدة وتغليب مصلحة الجماعة هي السبيل للنجاة من الوباء فاستقيموا يرحمكم الله.